# اجتهادات
# الجدرانُ الفاصلة

عندما انهار جدارُ برلين قبل 34 عامًا تبين كم أنها هشةُ الجدران التى تُقامُ نتيجة حروبٍ دامية، سواء أُقيمت بالقوة القسرية، أو كجزءٍ من تسويةٍ تعقبُ حربًا أو أخرى. قد تستمرُ هذه الجدرانُ سنواتٍ تبدو خلالها كما لو أنها قويةُ منيعة، بمقدار ما تمنعُ التواصل بين البشر على جانبى كلٍ منها. ولكن حين تصلُ إلى نهايتها المحتومة، يتبينُ أنها واهيةُ لا تقوى على مقاومة تدفق أولئك الذين أُقيمت لتخويفهم، فتسقطُ وتصبحُ أثرًا بعد عين. ويبدو للناظر إليها عند وقوعها كما لو أنها بُنيت من رمالٍ تذروها رياحُ تهبُ عليها حتى إن تأخرت. فلكل جدارٍ أجلُ فى عالمنا الذى صار مختلفًا كليًا عن أزمانٍ أخذت فيها الجدرانُ أشكالاً متعددة, وكان بعضُها فى صورة قلاعٍ ظن من احتموا بها أنهم فى بروجٍ مشيدة.

لم يبق من هذا النوع من الجدران اليوم إلا جدارُ الفصل العنصرى الصهيونى، الذى يُعدُ أحد معالم نظام الأبارتايد الإسرائيلى. وهو الوحيدُ من نوعه الآن بعد إسقاط نظمٍ مماثلةٍ كانت فى الجزء الجنوبى من إفريقيا, و بدت لسنواتٍ طويلةٍ عصيةُ على التغيير.

وتثيرُ هذه التحولاتُ سؤالاً عن إمكان بناء جدارٍ جديدٍ فى أوروبا بعد الحرب الأوكرانية، التى اختُزلت فى معركة دونباس، وتحولت من حربٍ كبيرةٍ لتغيير نظام الأمن فى منطقة شرق أوروبا وتقييد حركة

حلف الناتو فيها, إلى معركةٍ حدودٍ صغيرة. فهل يمكنُ تصور جدارٍ جديدٍ يقسمُ أوكرانيا إلى رُبع وثلاثة أرباعٍ مثلاً، على نمط جدار برلين الذى قسم ألمانيا إلى نصفين؟ سؤالُ يبدو جوابهُ صعبًا قبل أن تسكت المدافعُ, لكنه يثيرُ سؤالاً ثانيًا عما إذا كان فى مصلحة روسيا تكريسُ عزلة يرادُ فرضُها عليها اقتصاديًا عبر حزم عقوباتٍ لم تنته بعد، وجغرافيًا من خلال توسعٍ إضافيٍ لحلف "الناتو"، فى اتجاهٍ معاكسٍ تمامًا للهدف الأساسى للحرب التى شنتها, وهل يمكنُ أن يقبل المجتمعُ الدولىُ تغييرًا حدوديًا تسعى إليه موسكو فى منطقة دونباس وجوارها؟

أسئلةٌ لن يطول انتظارُ جوابها الذى سيحددُ هل مازالت الجدرانُ الفاصلةُ ممكنةً فى عالم اليوم .